مجلة العلوم الإنسانية والحضارة ـــــــــــــــ رقم ISSN 2661- 7307
المجلد3. العدد 1. السنة 2021 ص 45- 63

فوبيا العولمة الإعلامية الخطاب الإسلامي في ظل الحتمية التكنولوجية

الدكتور النوعي عبد القادر
الدكتور علالي محمود
الأستاذ حجاج عبد الرحمن
جامعة عمار ثليجي الاغواط

الملخص

الخطاب الإسلامي إنه مفهوم في واقع الأمر شائك ومعقد خصوصا في ظل تعقد المعرفة الإنسانية وتطور الفكر الإنساني الذي تمخضت عنه ظاهرة لا تقل تعقيد وتشابكا، نتكلم هنا عن العولمة الإعلامية منها بالخصوص..

الكلمات المفتاحية: الاعلام – الخطاب – الإسلامي

abstract

The Islamic discourse is a thorny and complex concept in reality, especially in light of the complexity of human knowledge and the development of human thought that has given rise to a phenomenon that is no less complex and intertwined. We are talking here about media globalization, including in particular.

*المؤلف المرسل

مقدمة:

الخطاب الإسلامي إنه مفهوم في واقع الأمر شائك ومعقد خصوصا في ظل تعقد المعرفة الإنسانية وتطور الفكر الإنساني الذي تمخضت عنه ظاهرة لا تقل تعقيد وتشابكا، نتكلم هنا عن العولمة الإعلامية منها بالخصوص، ذلك الكائن الأخطبوطي المخيف والمربك في ذات الوقت حيث ترتبط العولمة في عمومها بثلاث أبعاد تركيبية وهي:

- البعد السياسي.
- البعد الاقتصادي.
- البعد الإعلامي.

والبعد الإعلامي من أكثر مكونات العولمة غموضا و إثارة في ذات الوقت وقد تنبأ بذلك مارشال ماكلوهن حيث توقع مع تطور التكنولوجيا تطور الظاهرة الاتصالية، مارشال ماكلوهن الذي تنبأ بأن التكنولوجيا ستسيطر على مفاصل الحياة في نظريته المشهورة بالحتمية التكنولوجية، وهو الأمر الذي سيجعل الخطاب الإسلامي في محك رهانات الوجود والكيونة، فالواقع وكما هو معروف أن العولمة تعيد إنتاج الفضاء العالمي بحسب رغبتها النافذة، فهي توزع المفاهيم وتعيد انتاجها، تصنعها في مخابرها الإعلامية المؤدلجة وبأشكال قد لا تخدم موجة الخطاب الإسلامي المعتدل ربما، وتكرس ذلك الخطاب المترهل أو العنيف، ووفقا لما سبق ما هي أهم الطروحات التي تقف اتجاه العولمة في ظل واقع حتمي تكنولوجي يفرض نفسه يوما بعد يوم، وهل يمكن للخطاب الديني أن يبقى صامدا اتجاه أمواج العولمة الإعلامية الصارمة والهائجة ؟.

أهم مفاهيم المقال:

- فوبيا العولمة الإعلامية.
- الخطاب الإسلامي.
- الحتمية التكنولوجية.

.□معنى الخطاب الإسلامي:

1.1.تعريفات عامة:

الخطاب الديني الإسلامي في واقع الأمر أو حتى من خلال المنظور الصوري هو ذلك النتاج الفكري الاتصالي الذي أسال الكثير من الحبر خصوصا منذ أحداث سبتمبر 2001، وهو بصفة عامة هو خطاب يختص بنظام فكري ذو طابع ديني صادر عن هيئة اجتماعية معينة قائمة على أفراد أو جماعات ذات صبغة دينية، تضبطها سلطة خاضعة وموجه نحو فئات معينة ومختلفة من المجتمع ويخضع هذا الخطاب الديني لعوامل وأحكام تحدده وتوجهه، ويعالج قضايا وجوانب متنوعة منها السياسية والاقتصادية والثقافية والتربوية في إطارها الاجتماعي العام وبما أن موضوع ورقتنا البحثية هذه هو الخطاب الإسلامي فحسب بعض التعريفات: "هو ما يستنبطه ويفهمه الفقيه والعالم والمفكر من النص الديني، أو من مصادر الاجتهاد و الاستنباط المعتمدة، ويتمثل في فتاوى الفقهاء وكتابات العلماء، وأحاديث الخطباء، وآراء ومواقف القيادات والجهات الدينية" [1].

كما يعرف الدكتور يوسف القرضاوي الخطاب الديني الإسلامي بأنه البيان الذي يوجه باسم الإسلام إلى المسلمين وغير المسلمين لدعوتهم إلى الإسلام أو تعليمه لهم أو تربيتهم عليه: عقيدة أو شريعة عبادة أو معاملة، فكرا أو سلوكا أو لشرح موقف الإسلام من قضايا الحياة أو الإنسان أو العالم، فردية أو اجتماعية، روحية أو مادية، نظرية أو عملية، ويتعرض هذا الخطاب لقضايا دينية خالصة تتعلق بالعقائد والغيبيات، أو بالعبادات الشعائرية، وقد يتعرض لقضايا أخلاقية تتصل بالقيم العليا، والفضائل والسلوكيات الإنسانية الراقية، وقد يتعرض لقضايا اجتماعية تتعلق بالرقى بالمجتمع من حضيض المادة والإباحية والنفعية التي عرفت فيها المجتمعات المادية المعاصرة وحل مشكلات المجتمع من الفقر والجهل والمرض والرذيلة والفساد الخلقي والظلم الاجتماعي والاستبداد السياسي، وقد يتعرض لقضايا فكرية أو اقتصادية أو سياسية أو دولية ليقدم العلاج لها في ضوء تعاليم

1 – الصفار حسن: الخطاب الإسلامي وحقوق الإنسان، ط1، المركز الثقافي العربي، المغرب، 2005، ص20.

الإسلام [1].

ويقول الدّكتور طارق محمّد السّويدان عن الخطابة "أنها إيصال خبر أو فكرة ما لمجموعة من السّامعين على نحو مقنع ومؤثر" .. يعني أنها عملية اتصالية بامتياز.

2.1.خصائص الخطاب الديني (الإسلامي):

أ- السعة و الشمولية: فهو يشمل الفرد بجسمه وعقله وروحه و وجدانه.. ويشمل الأسرة بمعناها الموسع بعلاقاتها الزوجية والأبوية والأخوية و الرحمية.. ويشمل المجتمع بكل طبقاته وتكويناته الدينية والعرقية واللغوية والاقتصادية وغيرها.. ويشمل الأمة بكل شعوبها وأوطانها ويشمل الدولة التي تحكم الأمة، ونظرا لهذا الشمول و الامتداد والتنوع كان لهذا الخطاب خطره وأثره إذا وضع في يد من لا يحسنه و لم يعد الإعداد الكافي للقيام به، لا من حيث الفقه في الدين ولا من حيث الفقه في العصر والواقع وضحية ذلك المجتمع والدين نفسه.

ب- التنوع في أساليبه: يتخذ هذا الخطاب أساليب شتى قديمة وحديثة، من الخطبة والمحاضرة والدرس والحديث والمقالة والرسالة والكتاب والندوة، والبحث الميداني و يمكن أن يستخدم فيه النثر والشعر والزجل والقصة و.. كما يمكن أن يستخدم فيه كل أجهزة الإعلام المعاصر و آلياته المكتوبة والمسموعة والمرئية، محلية وإقليمية وعالمية، من الإذاعات الموجهة، إلى القنوات الفضائية إلى شبكة الانترنت..

ت- التعدد في الصيغ: قد يظهر الخطاب الديني في صيغة دعوية تربوية، أو في صيغة فقهية تشريعية، أو في صيغة فكرية فلسفية، وإن كان التركيز الأكبر على الصيغة الدعوية فهي الأصل والأساس في الخطاب الديني [2].

ث- الخطاب الديني خطاب مؤثر: لأنه يخاطب عقل الإنسان وفطرته السليمة، ويحرك مشاعر الإنسان وعواطفه في نفس اللحظة التي يستثير فيها عقله.

1 – يوسف القرضاوي: خطابنا الإسلامي في عصر العولمة، ط1، دار الشروق ، القاهرة، 2004، ص15،16.
2 – يوسف القرضاوي: مرجع سبق ذكره، ص16،17 .

ج- الخطاب الديني ثابت: لا يتغير بتغير الأمكنة و الأزمنة والمقصود بالخطاب الثابت، هو الأحكام الشرعية، فإذا عالج الحكم الشرعي قضية ما تبقى القضية تأخذ نفس الحكم، فإذا كان هناك واقع جديد فإنه يحتاج إلى حكم آخر، أما الأساليب والوسائل فإنها تتبدل وتتغير.

ح- الخطاب الديني خطاب وحدوي: يقوم على صهر الناس من خلال المفاهيم في بوتقة العقيدة الإسلامية ليكونوا أمة واحدة تربطهم عقيدة الإسلام، فرابطة العقيدة لا تنقطع [1].

وقد وضع الدّكتور إبراهيم القعيد خمسة عشر(15) خطوة إرشادية لنجاح العملية الاتصالية وقال في النقطة الخامسة عشر: تأكد أن الاتصال (وجهًا لوجه) هو عملية مستمرة: حيث تشير الدراسات إلى أن إرسال رسالة واحدة علنية وظاهرة يعني أن هناك على الأقل ست (06) رسائل مختلفة ضمنية وهي:

- ما تعني قوله.
- ما تقوله فعلا.
- ما يسمعه الشخص الآخر.
- ما يعتقد الآخر أنه يسمعه.
- ما يقوله الآخر.
- ما تعتقد أن الشخص الآخر يقول [2].

3.1.مواصفات الخطبة المتميزة:

- إن الخطبة التي يعدها الخطيب أشبه ما تكون بجسم واحد مكون من أجزاء، فمن الضروري أن تكون أجزاء هذا الجسم متناسقة ومنسجمة مع بعضها البعض بحيث تخرج بقالب واحد.

1- البواطنة جمال محمد: تجديد الخطاب الديني المعاصر ضرورة ملحة، المؤتمر العام الواحد والعشرون للمجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، فلسطين بدون سنة، ص6، بتاريخ 2014/04/14، الساعة : 15.00، انظر الموقع: www.elazhar.com،.

2- حمد القعيد إبراهيم، العادات العشر للشخصية الناجحة، ب ط، الرياض، دار المعرفة للتنمية البشرية، 1422 هـ، ص 4/3.

- يجب أن يتقن الخطيب مهارات الانتقال بين المفردات الخطبة وأجزائها من المقدمة إلى الحبكة إلى الخاتمة.
- الخطبة المترابطة هي الخطبة التي لا يشعر المستمع فيها أن الخطيب قد انتقل من موضوع للآخر، فالخطبة المشتتة والتي تعالج أكثر من موضوع دون ترابط تكون مثل صورة متناقضة الأشكال والألوان.

وباختصار القواعد الثلاثة للخطبة المتميزة وهي:

أ- التناسق و الانسجام.

ب- الانتقال الجيد والسلس بين المفردات والأجزاء.

ت- خطبة الكتلة الواحدة أو المترابطة [1].

يمكن القول أنّ هناك ثلاثة أشياء مهمة في الخطاب: (من يلقيه؟ ..وكيف يلقيه؟.. وما الذّي يقوله؟ والشيء الأقل أهمية من بين الصفات الثلاث هي الأخيرة) [2].

4.1.مواصفات الخطيب المتميز:

- العلم: وهي حسن المعرفة والإحاطة بفنه.
- الإعداد الجيد: التحضير الجيد للخطبة أبلغ للمستمعين.
- المهارة اللغوية: امتلاك الخطيب لمعجم واسع من المفردات يزوده بقدرة فائقة على التعبير.
- إيصال رسالة مهمة: فالخطب العامة التي ليس لها هدف غالبا ما تكون ضعيفة التأثير والإقناع، فلا بد للخطيب من تحديد هدف رئيس هام يمس حياة المستمعين ويستجلب اهتمامهم.
- الثقة بالنفس: فالخطيب الرابط الجأش الواثق من نفسه لا شك أنه سيكون أكثر وصولا إلى قلوب الجمهور.

1- طارق محمّد السّويدان، فن الإلقاء الرائع، ط1، دون مكان النشر، شركة الإبداع الفكري للطباعة، بدون مكان نشر، 2003، ص 31.

2- نفس المرجع السابق: ص 31.

- الصدق: ولعل هذا من أهم صفات الخطيب المتميز، فإن تحسس المشاعر وصدقها وأمانة النّقل، وصدق الحديث والعاطفة أمور لا بد من توافرها لدى الخطيب الجيد.
- مراعاة حال السامعين: (خاطبوا الناس على قدر عقولهم). باختيار الموضوع والألفاظ المناسبة.
- الاستماع الجيد: الإلقاء الجيد مرتبط بالتلقي الجيد فالاستماع الجيد يكسب الثقة.
- الإيمان بما يقول: أي أن يكون الخطيب قدوة حسنة للمستمعين.

وباختصار هناك قواعد ستة للخطباء المتميزون وهي:

01 ــ يعرفون متى يتكلمون ومتى يتوقفون.

02 ــ يتحدثون عن أشياء مهمة للآخرين .

03 ــ يستخدمون اللغة اليومية السهلة .

04 ــ يتحدثون دون تفاخر .

05 ــ يشيرون إشارات طبيعية .

06 ــ يحافظون على التواصل بالعين [1].

2.معنى الحتمية التكنولوجية:

يرى ماكلوهن الباحث الكندي أن سائل الإعلام الجديدة تحول العالم إلى (قرية عالمية Global Village) تتصل في إطارها جميع أنحاء العالم ببعضها مباشرة، كذلك تقوّي تلك الوسائل الجديدة العودة (للقبلية) في الحياة الإنسانية، فعالمنا أصبح عالماً من نوع جديد، توقف فيه الزمن واختفت فيه (المساحة) لهذا بدأنا مرة أخرى في بناء شعور بدائي ومشاعر قبلية، كانت قد فصلتنا عنها قرون قليلة من التعليم علينا الآن أن ننقل تأكيد انتباهنا من الفعل إلى رد الفعل، ويجب أن نعرف الآن مسبقا نتائج أي سياسة أو أي عمل، حيث أن النتائج تحدث أو يتم تجربتها بدون تأخير، وبسبب سرعة الكهرباء لم نعد نستطيع أن ننتظر ونرى، ولم تعد الوسائل البصرية المجردة في عالم الاتصال الكهربائي السريع صالحة لفهم العالم، فهي بطيئة جداً مما يقلل من فاعليتها،

1- طارق محمّد السّويدان: مرجع سبق ذكره، ص 31.

ولسوء الحظ نواجه هذا الظرف الجديد بعقلية قديمة، فالمعروف أن الكهرباء تجعل الأفراد يشتركون في المعلومات بسرعة كبيرة جداً، فقد أجبرنا عالمنا من خلال الوسائل الكهربائية على أن نبتعد عن عادة تصنيف المعلومات، وجعلنا نعتمد أكثر على أدراك النمط أو الشكل الكلي. لم يعد في الإمكان أن نبني شيئا في تسلسل، لأن الاتصال الفوري يجعل كل العوامل الموجودة في الظروف المحيطة تتفاعل، كما يجعل التجربة تتواجد في حالة تفاعل نشط، وبينما عمل المطبوع على (تفجير) أو تحطيم أو تقسيم المجتمع إلى فئات، تعمل وسائل الأعلام الإلكترونية على إرجاع الناس مرة أخرى للوحدة القبلية، وتجعلهم يقتربون مرة أخرى من بعضهم البعض، فقد عادت حاسة الاستماع مرة أخرى إلى السيطرة، وأصبح الناس يحصلون على معلوماتهم أساساً بالاستماع إليها [1].

وقد تابع ماكلوهن هذه الفكرة بشكل أكثر تعمقاً ليعرف أهميتها التكنولوجية، مما جعله يطور فكرة محددة عن الصلة بين وجود الاتصال الحديث في المجتمع والتغيرات الاجتماعية التي تحدث في ذلك المجتمع، ويقول ماكلوهن أن التحول الأساسي في الاتصال التكنولوجي يجعل التحولات الكبرى تبدأ، ليس فقط في التنظيم الاجتماعي، ولكن أيضا في الحساسيات الإنسانية والنظام الاجتماعي في رأيه يحدده المضمون الذي تحمله هذه الوسائل، وبدون فهم الأسلوب الذي تعمل بمقتضاه وسائل الأعلام لا نستطيع أن نفهم التغيرات الاجتماعية والثقافية التي تطرأ على المجتمعات، فاختراع اللغة المنطوقة هو الذي ميّز بين الإنسان والحيوان، ومكّن البشر من إقامة المجتمعات والنظم الاجتماعية وجعل التطور الاجتماعي ممكنا، وبدون اختراع الكتابة ما كان التحضر ممكناً، بالرغم من أن اختراع الكتابة ليس الشرط المسبق الوحيد للحضارة، فالإنسان يجب أن يأكل قبل أن يستطيع الكتابة إلا أنه بفضل الكتابة، تم خلق شكل جديد للحياة الاجتماعية

1 ــ موقع Mass Communication، نقلا عن محمد جاسم فلحي الموسوي: تكنولوجية وسائل الأعلام وتأثيرها على المجتمعات ((نظرية مارشال ماكلوهان))، موقع Mass Communication، شوهد: 26-06-2018، على الساعة 11:30. http://masscomm.kenanaonline.net/posts/142661

وأصبح الإنسان على وعي بالوقت، وأصبح التنظيم الاجتماعي يمتد إلى الخلف، (أي إلى الماضي)، وإلى الأمام، (أي إلى المستقبل)، بطريقة لا يمكن أن توجد في مجتمع شفهي صرف. فالحروف الهجائية هي تكنولوجيا يستوعبها الطفل الصغير بشكل لا شعوري تماما،(بالاستيعاب التدريجي)، والكلمات ومعانيها تُعد الطفل لكي يفكر ويعمل بطرق معينة بشكل آلي، فالحروف الهجائية وتكنولوجية المطبوع طورت وشجعت عملية التجزئة وعملية التخصص والابتعاد بين البشر، بينما عملت تكنولوجية الكهرباء على تقوية وتشجيع الاشتراك والتوحيد[1].

1.2.معنى العولمة:

أ.المعنى العام للعولمة:

العولمة هذا المفهوم الذي يره البعض مفهوما يتميز: "بالغموض والتعقيد وعدم التناسق بين النظرية والواقع اللذين هما بنفس الدرجة من الغموض، فإذا كانت العولمة تشير إلى مجموعة من التطورات التي جاءت بعد الحرب الباردة، وتهدف إلى إزالة الحدود والفواصل بين دول العالم وهذا الأمر يعد واقعا معاشا إلا أن الجانب التنظيري بقي متخلفا عن هذه التطورات، و لم يساير ما حدث على الساحة العالمية من تغيرات" [2]، وفي هذا الشأن يرى نورمان جيفان أن العولمة "أنها تشير إلى مجموعة شاملة من العمليات الاقتصادية والسياسية والإيديولوجية، ويوجد عند أساسها الاقتصادي تدويل التمويل والإنتاج والتجارة والاتصالات الذي تقوده أنشطة الشركات العابرة للأوطان، واندماج أسواق رأس المال والنقود وتظافر تقنيات الكومبيوتر والاتصالات السلكية واللاسلكية" [3]، أما المفكر برهان غليون فيعتقد أن العولمة "دينامكية جديدة، تبرز داخل دائرة العلاقات الدولية من خلال تحقيق درجة عالية من الكثافة والسرعة، في عملية انتشار المعلومات

1 ـــ نفس الموقع السابق.

2 ـــ غربي محمد نقلا عن برهان غليون: (مجلة اقتصاديات شمال افريقيا: تحديات العولمة وآثارها على العالم العربي)، العدد 06، 2009، مخبر العولمة واقتصاديات شمال افريقيا، جامعة حسيبة بن بوعلي، الشلف، الجزائر، ص18.

3 ـــ مصطفى النشار: ضد العولمة، دار قباء للطبع والنشر والتوزيع، ب ط، القاهرة، 1999، ص 57.

والمكتسبات التقنية والعلمية للحضارة، وهي ثمرة التطورات العلمية والتقنية الموضوعية التابعة من منطق التنافس بين الدول والشركات، ومن ناحية أخرى ثمرة إرادة النخب والدول الحاكمة في استغلال هذه التطورات لتحقيق أهداف تتعلق بخدمة المصالح الاجتماعية" [1].

إذا فالعولمة بشكلها المادي الذي يطبعها وبشكل صارخ تنفذ في عمق النظم والأنساق الاجتماعية بشكل لا استأذاني لتغير النمط والشكل والمضمون لتلك النظم و الأنساق، والجامعة باعتبارها نسقا اجتماعيا تتخله نفس الأعراض، ولا يمكن اعتبار فكرة استيراد المعرفة إلا حدثا تكرسه العولمة أو توفر له مناخا تحفيزيا.

ومما سبق نجد أنّ مفهوم العولمة يدور حول فكرة الانتشار الكوني لفكرة أو ثقافة ما عبر العالم بشكل قهري وبكل الوسائل الممكنة (بمعنى غياب مبدأ النّدية)، ومفهوم العولمة غير مفهوم العالمية الذّي يعني التّلاقح والتّعارف والتّبادل والتّكامل (بمعنى حضور وتجلي مبدأ النّدية)، ويمكن تقصي ظاهرة العولمة كواقع معاش من خلال مؤشرات عدة تتعلق بـــ:

- الزّوال التّدريجي لمفاهيم محلية تقليدية...الخ.
- ظهور مؤشرات دالة على تلوث الفضاء الاجتماعي الثّقافي العربي العام والجزائري خصوصا، وذلك بالانتشار الواسع والقسري لجملة من المفاهيم الدخيلة...الخ.

ب.العولمة الإعلامية:

إذا كان مفهوم العولمة يدور حول فكرة السيطرة الأمريكية، أو الانتشار الكوني للإيديولوجية الأمريكية عبر العالم (أمركة العالم)، فإن عولمة الإعلام تعني (أمركة الإعلام) بمعنى آخر الانتشار الكوني للإيديولوجية الأمريكية عبر العالم بشكل غزير ومبهر عن طريق وسائط إعلامية دولية ضخمة وجبارة تتنوع بين الإخبارية والسينمائية و...موجهة رسائلها الإعلامية الحاملة للإيديولوجية والثقافة الأمريكية إلى بلدان العالم، دون اعتبار لأي معايير أو أخلاقيات أو ضوابط

1ـــ برهان غليون: (مجلة المستقبل العربي: الوطن العربي أمام تحديات القرن الواحد و العشرين ـــ تحديات كبيرة وهمم صغيرةـــ)، بيروت، العدد 232، جوان 1998، ص 3.

متفق عليها، والمعلوم أن: "الإعلام جزء من الاتصال، وهو تلك العملية الإعلامية التي تبدأ بمعرفة المخبر الصحفي بمعلومات ذات أهمية، أي معلومات جديرة بالنشر والنقل ثم تتوالى مراحلها، من تجميع المعلومات من مصادرها ثم نقلها والتعاطي معها وتحريرها ثم نشرها وإطلاقها وإرسالها عبر صحيفة أو وكالة أو محـــطة تلفزيونية إلى طرف معني بها ومهتم بوثائقها" [1].

أما الإعلام العولمي فما هو إلا عملية اتصال مدروسة مبنية أساسا على انتقال المعلومة، ويقول محمد عبد القادر حاتم في هذا الشأن: "إنّ ثورة المعلومات أدخلت تحسينات على وسائل نقل المعلومات بما انعكس على سرعة وضخامة حجم هذه المعلومات ولكننا نعرف أنّ عملية انتقال أي بيانات أو معلومات أو معرفة من نقطة لأخرى تتطلب:

- مصدر أو مرسل.
- جهة مستقبلة.
- مجموعة قنوات أو الوسائل لنقل الرسالة.
- الرسالة المنقولة [2].

وقد ساهم في إيجاد العولمة الإعلامية تحول النظام الإعلامي الدولي من الطابع الثنائي الذي كان يقوم على سيطرة النظامين الإعلاميين الليبرالي الغربي والاشتراكي الشرقي إلى الطابع الأحادي الذي يقوم على سيطرة نظام إعلامي دولي واحد، وهو الغربي الليبرالي وهيمنة قطب واحد على هذا النظام.... ومن المهم التأكيد على أنّ تكنولوجيا الاتصال والمعلومات كان أحد الأسباب الرئيسية في تحول النظام الإعلامي الدولي من الطابع الثنائي إلى طابع النظام الواحد وأنّ هذين المتغيرين يشكلان جوهر مفهوم العولمة الإعلامية [3].

1ـــ إبراهيم أبو عرقوب: الاتصال الإنساني ودوره في التفاعل، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع، ط1، عمان/الأردن، ب س، ص 128.

2ـــ محمد عبد القادر حاتم: العولمة (مالها وما عليها)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ب ط، القاهرة، 2005، ص545.

3ـــ نفس المرجع السابق، ص 552.

كما تطورت تقنيات الكلمة والصوت والصورة التي كان التحكم فيها يتم بواسطة لوحة مفاتيح أو ميكرفون لتتجمع كلها في وحدة واحدة يتم ترتيبها وتنسيقها بواسطة الكمبيوتر، الذي يمكن مثلا أن يقوم بدور فرقة موسيقية كاملة، وساعد انخفاض أسعار أجهزة الاستقبال من ناحية أخرى على انتشار تكنولوجيا وسائل الاتصال والإعلام مما أتاح ليس فقط وصولها إلى مختلف مشاريع شرائح سكان الأرض، بل واتساع مجال الاختيار والمفاضلة بينهم، بالإضافة إلى انتهاء السيادة الوطنية على ما يبث عبر الفضاء الذي يصل إلى كل المجتمعات عن طريق أطباق الدش [1].

3.رهانات الخطاب الإسلامي في ظل العولمة الإعلامية:

وكما سبق أن ذكرنا تأثر الإعلام بالعولمة وأثر فيها في إطار علاقة تبادل، واقع الحال "هناك من الباحثين من يعود بالعولمة كنظام اقتصادي وإعلامي وإيديولوجي إلى مبادرة تقدم بها بعض المنظرين في الولايات المتحدة عام 1965 طرحوا فيها ثلاث قضايا منها برنامج عمل يضمن للولايات المتحدة الأمريكية الهيمنة على العالم.

أ- القضية الأولى: تتعلق باستعمال السوق العالمية كأداة لإخلال بالتوازن في الدول القومية في نظمها وبرامجها الخاصة بالحماية الاجتماعية [2].

ب- القضية الثانية: تخص الإعلام بوصفه القضية المركزية التي يجب الاهتمام بها لإحداث التغييرات المطلوبة على الصعيد المحلي والعالمي.

ت- لقضية الثالثة: تتعلق بالسوق كمجال للمنافسة" [3].

فالإعلام العولمي عموما يتميز بـــــــ:

من الزاوية المادية و الفنية:

1ـــ محمد عبد القادر حاتم: مرجع سبق ذكره، ص 552.

2 ـــ عبد العالي دبلة: مدخل إلى التحليل السوسيولوجي، دار الخلدونية للنشر والتوزيع، ط1، الجزائر، 2011، ص 153.

3 ـــ نفس المرجع السابق، ص 153.

- رسملة الإعلام والاهتمام بالبعد الاقتصادي فيه بالدرجة الأولى (أو ما يسمى بتسليع الإعلام).
- الإعلام لم يعد حكرا على المؤسسات الإعلامية الكلاسيكية حيث دخل متعاملون جدد في مجال إنتاج الإعلام، وتخزينه، وتوزيعه.
- سرعة النشر.
- الكم اللامحدود للمعلومات (عصر هيجان المعلومات).
- تطبيق مبادئ ونظريات علم النفس الاجتماعي وعلوم الاتصال كالإغراق، الإبهار، الإشباع باحترافية.
- التداخل ما بين الترفيه والإعلام والثقافة.

والسؤال المطروح: هل يعي الخطاب الديني تلك الفجوة الاقتصادية التي تفرض نفسها على الفضاء الإنساني بين الدول الاقتصادية المتقدمة والعالم غير النامي ؟

تلك الفجوة التي تتمثلها قوة ضاربة تمد الإعلام بالطاقة الضرورية للاستمرار والإبداع، إن القوة الاقتصادية بما تملكه من نفوذ مادي حيوي قادرة على صناعة الإعلام وتمويله، لأنها في ذات الوقت تقوى وتستمر من خلاله، ولذلك ليس غريبا أن نلحظ مؤسسات اقتصادية عملاقة بل وعابرة للقارات تمتلك وسائل إعلام خاصة كلاسيكية منها وتفاعلية، أو حتى توقع اتفاقيات شراكة مع مؤسسات إعلامية قوية، ويمكن القول أن بين الإعلام والاقتصاد تلك العلاقة التبادلية الحميمية التي تفرض نفسها انطلاقها من حاجة كل نسق للآخر، وطبعا تقع التكنولوجيا في دائرة الضوء في تلك العلاقة التبادلية، كما أن الاقتصاد يصنع الكادر البشري المؤهل، و لكن المتأثر الأكبر من كل تلك العلاقة الحميمية هو المعلومة في بنيتها، حيث تتعرض لمد وجزر تلك العلاقة، وعليه فإننا أمام مد معلوماتي غير مسبوق والذي من شأنه أن يخلق عدة إشكالات أما الخطاب الديني نذكر منها:

- ❖ المعلومات الدينية المغلوطة والتي تنتشر بشكل انفجاري، والخطورة في هذا الأمر لما تتلبس تلك المعلومات الرداء الديني فتأخذ مكانتها في الفضاء المعرفي الديني، وبشكل غير مسبوق.
- ❖ التسويق لمفاهيم غريبة دينيا وربما يكون هذا التسويق في ثوب علمي مزيف لا يتأكد من مصادره.

❖ ظهور ما يسمى بالإنسان الكوني والذي لا ترتبط ثقافته الدينية بالضرورة بخلفيته أو مرجعيته الدينة التي قد لا تصمد أمام تيار المد العولمي الإعلامي الجارف.

ولذلك فالخطاب الديني أمام تحديات غير مسبوقة، وعليه اغتنام مقدرات العولمة الإعلامية في مساره لتنفيذي لتحقيق أكبر حجم من المكتسبات.

من الزاوية الثقافية:

- تذويب الثقافة المحلية وصهرها في فرن الثقافة العالمية.
- تعميم وتعويم النمط الفكري التقليدي للجماعة، والمجتمع.
- رسملة الثقافة (ما يسمى بتسليع الثقافة).
- قهر العادات والتقاليد في الدول المتخلفة والنامية.

والسؤال المطروح:

هل يدرك خطابنا الإسلامي أنه أما جرافة إعلامية ثقافية لا تعترف إلا بالثقافات المتسلطة أو التي تمتلك يدا اقتصادية وإعلامية طولى، فالعولمة الإعلامية بما تملكه من مقدرات لوجستية اقتصادية هائلة تعمل على طحن الثقافات المحلية أو المنغلقة أو المترهلة، والتي لا يسعها أن تقاوم هذا المد الثقافي العولمي بآلياتها البسيطة والمتخلفة، ولذلك فمواكبة تكنولوجيا الإعلام من أهم تحديات الخطاب الديني في وقتنا المعاصر، ولعل ظاهرة ما يسمى بالدعاة الجدد وبما حملته هذه الظاهرة من معطيات بين القبول والرفض خير دليل على ترهل خطابنا الديني الكلاسيكي، ويمكن تلخيص ما سبق في هذا المخطط:

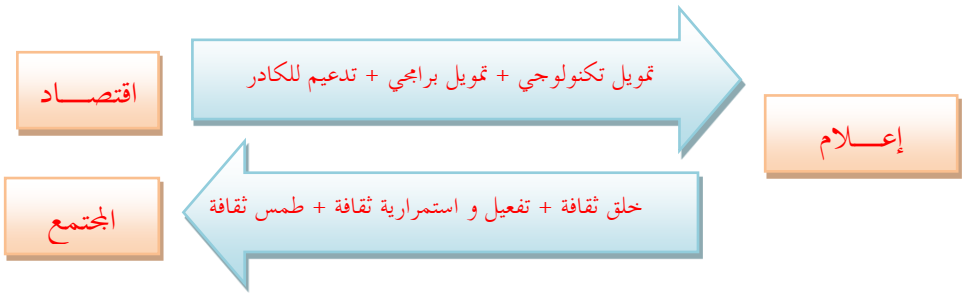

الزاوية السياسية:

- تقويض السيادة الوطنية للدول و طمس المعنى الكلاسيكي لمفهوم الدولة.

والسؤال المطروح:

هل يعي الخطاب الديني أن فكرة الدولة بمعناها الكلاسيكي قد زالت ؟، ناهيك عن ما يسمى بفكرة الخلافة والتي تبدوا في عصرنا فكرة مثيرة للضحك في بعض الأوساط المعرفية، مستحيلة التحقيق في بعدها الواقعي.

ومن الطبيعي القول بأنه ليس من السهل الاعتراف بأن هناك تغيرات جدرية أفرزتها العولمة الإعلامي على الفضاء السياسي العالمي، تمخضت عن أحداث سياسية سابقة لعل أهما خصوصا زوال القطبية الثنائية وظهور ما يسمى بالقطب الواحد، ولعل أهم ما كرس المنظومة السياسية المحدثة ما يلي:

- ❖ أحداث 11 سبتمبر 1991 بالولايات المتحدة الأمريكية، والتي أسست لظهور مفاهيم قديمة بثوب سياسي محدث رغباويا وفق حاجات عولمية أمريكية، كمفهوم الإرهاب باعتباره مفهوما سياسيا بتوابل دينية محضة.
- ❖ انتشار المعلومات الدينية التي ترتبط بالتطرف والتي من شأنها أن تخلق عدة أزمات على المستوى الاجتماعي.
- ❖ تسويق التطرف من خلال فكرة سرعة الانتشار الاتصالي عبر العالم، وظهور في شكل أجسام غريبة تسمى دولة كدولة داعش مثلا.

والواقع أن هذه السيطرة التي يتمثلها الإعلام العولمي سببها غياب إعلام عربي ومحلي بديل وفي مستوى المنافسة، فلا غرابة اذا أن تتأثر الثقافة كبعد قيمي هام بمدخلات الإعلام العولمي، "وعن دور الإعلام العربي في هذا السياق قال د. فخرو: دعنا أخيراً نطرح السؤال المتعلق بدور الإعلام العربي في هذه المعركة، إن الوسيلة الأهم لاختراق الثقافة العولمية، ومركزيتها في عواصم الغرب وعلى الأخص الأمريكي منه، للثقافة العربية هي البرامج الإعلامية السمعية والبصرية والالكترونية

الهائلة التي امتدَّت وتضخَّمت لتصل إلى كل بيت عربي، وإن نظرة واحدة على شاشات التلفزيونات العربية، المحلية أو الفضائية منها، تظهر كم تسيطر المادة الثقافية الأجنبية، سواء بلغات أجنبية أم مترجمة إلى اللغة العربية، على المشهد التلفزيوني برمَّته.. مستدركا في هذا الجانب بعض المحاولات القليلة الجادَّة في بعض بلاد العرب لخلق إعلام عربي منافس للإعلام العولمي الأمريكي على الأخص، لا تكفي، وهي مبعثرة من جهة ومتنافسة أحياناً فيما بينها من جهة ثانية، كما أن الإعلام العولمي سيل كبير جارف لا تصدُّه الإمكانيات القُطرية مهما بذل فيها من مال، فليس بالمال وحده يبنى الإعلام الرَّصين الجاذب الموثوق به وليس بالمال وحده يمكن صدّ الهجمة الثقافية العولمية" [1].

وختم د. فخرو حديثه مؤكدا على أن الجواب على تلك الصورة القاتمة يجب أن يمرَّ من خلال عمليات إصلاح عميقة لنقاط الضعف في ثقافتنا ومن خلال عملية تجديد شجاع من داخل ثقافتنا وليس من خارجها.. لكون الكثير من الإشكاليات في الثقافة العربية سيمكن إزالتها من خلال التقدم، حتى الجزئي، في تحقُّق مكوِّنات المشروع النهضوي.. مشيرا إلى أن هذا لا يمنع قيام المبادرات لوضع استراتيجيات متكاملة لإصلاح ونهضة وتجدُّد الثقافة العربية، كما فعلت المنظمة العربية للتربية والعلوم والثقافة منذ عدة سنوات.. كما لا يمنع – أيضا – من بذل الجهود من قبل المفكرين العرب لإخراج الثقافة من أكبر محنة عاشتها عبر أكثر من قرن وهي محنة الثنائيات التي أنهكتها وخصوصاً ثنائية الأصالة والمعاصرة وثنائية التراث والحداثة.. مؤكدا على أن المسألة الثقافية كتب عنها الكثير، ونوقشت في عشرات المؤتمرات، إلا أن حَّلها النهائي يحتاج إلى أمة موحدة حرَّة ناهضة تتطلَّع إلى أفق المستقبل السَّاطع المبهر[2].

1 ـــ علي فخرو: الإعلام العربي والغزو الثقافي، حاوره: علي القحيص، (جريدة: الرياض / الشارقة، الثلاثاء 24 جمادى الاخرة 1433 هـــ - 15 مايو 2012م)، العدد 16031.

2 ـــ نفس المرجع السابق.

خاتمة:

لعل أهم ما يمكن استخلاصه من هذا البحث التجريدي المقتضب تلك النظرة التي تفيض بالاعتراف بالقدرة التامة للإعلام العولمي كونه غاية في الأهمية وضمن شبكة وسائل أكثر انتشار وتعقيدا والتي طبعت جل ما تناوله الكُتاب والباحثون ومن تخصصات مختلفة، بلا شك إن القوة التأثيرية لوسائل الإعلام العولمي المختلفة على الخطاب الديني إن سواء على المستوى الشخصي الذي يتمثله رجل الدين الرسمي وغير الرسمي، أو الجمعي كالثقافة الدينية الجمعية تكاد تكون شبه مطلقة بالنظر لجملة خصائص تميز هذه الإعلام العولمي إضافة إلى جملة الخصائص التي تميز الفرد في العالم الإسلامي بالخصوص من جهة أخرى، إنها علاقة تفاعلية تتسم بالتماهي إلى درجة الذوبان، بمعنى ذوبان قيم الجمهور الدينية وانصهاره ضمن المنظومة الإعلامية العولمية بشكل يوافق التخدير جراء عمليات حقن متواصلة، ولعل ما أشار إليه كل من برهان غليون، عبد العالي دبلة، علي فخرو وغيرهم ممن ورد ذكر أفكارهم في هذا المقال يبين مدى الفقر المعرفي والتقاني الذي يعيشه خطابنا الديني في ظل عولمة إعلامية جارفة.

ومع ذلك نقول ما هذه الفوبيا من العولمة الإعلامية الجارفة ؟، والتي تمثل حقيقة وجودية لا مفر منها سواء تفاعلنا معها بشكل موجب أو سالب، لما لا نعترف بأنها تقع ضمن المسار الحتمي لتطور التكنولوجي البشري والذي علينا أن ندرك حقيقته وحقيقة أباده لننتهزه ونستفيد منه بالقدر الذي يحاول استنزافنا، صحيح أن الأمر يقع ضمن دوائر التحدي بحكم التبعية الاقتصادية والسياسية التي نعيشها ولكنه أمر لا مفر منه للأسف، والأمر يتعلق بكينونتنا ووجودنا عبر الخارطة الاجتماعية العالمية.

المراجع:

1. إبراهيم أبو عرقوب: الاتصال الإنساني ودوره في التفاعل، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع، ط1، عمان/الأردن، ب س.
2. برهان غليون: (مجلة المستقبل العربي: الوطن العربي أمام تحديات القرن الواحد و العشرين ـــ تحديات كبيرة وهمم صغيرةـــ)، بيروت، العدد 232، جوان 1998.
3. حمد القعيد إبراهيم، العادات العشر للشخصية الناجحة، ب ط، الرياض، دار المعرفة للتنمية البشرية، 1422 هـــ.
4. الصفار حسن، الخطاب الإسلامي وحقوق الإنسان، ط1، المركز الثقافي العربي، المغرب، 2005.
5. عبد العالي دبلة: مدخل إلى التحليل السوسيولوجي، دار الخلدونية للنشر والتوزيع، ط1، الجزائر، 2011.
6. علي فخرو: الإعلام العربي والغزو الثقافي، حاوره: علي القحيص، (جريدة: الرياض / الشارقة، الثلاثاء 24 جمادى الاخرة 1433 هـــ - 15 مايو 2012م)، العدد 16031.
7. غربي محمد نقلا عن برهان غليون: (مجلة اقتصاديات شمال افريقيا: تحديات العولمة وآثارها على العالم العربي)، العدد 06، 2009، مخبر العولمة واقتصاديات شمال افريقيا، جامعة حسيبة بن بوعلي، الشلف، الجزائر.
8. القرضاوي يوسف، خطابنا الإسلامي في عصر العولمة، ط1، دار الشروق ، القاهرة، 2004.
9. محمّد طارق السّويدان، فن الإلقاء الرائع، ط1، دون مكان النشر، شركة الإبداع الفكري للطباعة، بدون مكان نشر، 2003.

10. محمد عبد القادر حاتم: العولمة (مالها وما عليها)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ب ط، القاهرة، 2005 .
11. مصطفى النشار: ضد العولمة، دار قباء للطبع والنشر والتوزيع، ب ط، القاهرة، 1999.
12. البواطنة جمال محمد، تجديد الخطاب الديني المعاصر ضرورة ملحة، المؤتمر العام الواحد والعشرون للمجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، فلسطين بدون سنة، ص6، بتاريخ 2014/04/14، الساعة : 15.00، انظر الموقع، www.elazhar.com.
13. موقع Mass Communication، نقلا عن محمد جاسم فلحي الموسوي: تكنولوجية وسائل الأعلام وتأثيرها على المجتمعات ((نظرية مارشال ماكلوهان))، شوهد: 26-06-2018، على الساعة11:30.
1http://masscomm.kenanaonline.net/posts/14266